

أغرقة مؤسسات الحكم والإدارة والجيش في مصر البطلمية وتداعياته 323-31 ق.م

د. عادل عمران محمد زايد

قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة طرابلس

Hellenistic Model of the Institutions of Government, Administration, and Army in Ptolemaic Egypt and its Repercussions 323-31 BC

Dr. ADEL OMRAN MOHAMED ZAYED

History Department - Faculty of Arts - University of Tripoli

Abstract

The proposed vision in this research is based on raising the issue of applying the Hellenistic model of the institutions of governance, administration and the army in Ptolemaic Egypt (323-31 BC) by focusing on the establishment of the state, the organization of its internal institutions, the transfer of the capital from Memphis to Alexandria, the assumption of sovereign, financial, and administrative positions, the formation of the Ptolemaic army, and the repercussions of applying the Hellenistic model state institutions into Egypt.

The research was divided into an introduction, four main themes, a conclusion, and a list of sources and references. The first theme deals with the establishment of the Ptolemaic state, the second theme deals with the organization of internal institutions, the third theme deals with the formation of the Ptolemaic army, and the fourth and final theme is devoted to talking about the repercussions of applying the Hellenistic model institutions of the Ptolemaic state.

الملخص :

إن الرؤية المقترحة في هذا البحث تقوم على طرح موضوع أغرقة مؤسسات الحكم والإدارة والجيش في مصر البطلمية (323-31 ق.م) من خلال التركيز على تأسيس الدولة وتنظيم مؤسساتها الداخلية و نقل العاصمة من منف إلى الإسكندرية ، وتولى المناصب السيادية والمالية والإدارية وتكوين الجيش البطلمي ، وتداعيات أغرقة مؤسسات الدولة على مصر .

قسم الموضوع إلى مقدمة وأربعة محاور رئيسة وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع ، فالمحور الأول يتناول تأسيس دولة البطلمية، ويتطرق المحور الثاني لتنظيم المؤسسات الداخلية ، ويعالج المحور الثالث تكوين الجيش البطلمي ، وخصص المحور الرابع والأخير للحديث عن تداعيات أغرقة مؤسسات الدولة البطلمية.

مقدمة:-

عاشت بلاد الشرق القديم على وقع توسع الإسكندر المقدوني / الأكبر مرحلة جديدة تميزت باختيار الإمبراطورية الفارسية ليؤول إرثها ومجدها وكنوزها لمقدونيا التي تزعمت الإغريق في حربهم للتخلص من الاحتلال الفارسي وطردهم وتعقبهم في

بلادهم، وتمكن الإسكندر من تكوين إمبراطورية مترامية الأطراف في فترة وجيزة لم تتجاوز العقد ونيف، ورغم أن سنوات حكمه كانت قليلة وإنجازاته كبيرة، فالموت المفاجئ غيب دوره وطموحاته التوسعية قبل أن يستكمل تنفيذ كل مخططاته التي رسمها لشكل الحكم ونوعه وكيفية توزيع وتبعية وتقسيم المناطق التابعة لسيطرته، كل ذلك فتح الباب على مصرعيه لجميع الاحتمالات بقاء الإمبراطورية موحدة كان مطلباً مهماً سعى برديكاس لتحقيقه وهو أحد قادة الإسكندر المقربين إليه، ولكن هذا الرأي لم يتمشاق وبقية القادة الراغبين في تقسيم الإمبراطورية بينهم وتكوين ممالك مستقلة .

تلك هي الصورة المشهد عشية عقد مؤتمر بابل بين كبار قادة الإسكندر المقدوني لتدارس الموقف وحال الإمبراطورية بما في ذلك مراسم دفن مؤسسها وباني مجدها؛ وقد ظهرت بوادر الاختلاف والانقسام بين المجتمعين، وتغلب دعاة التقسيم في نهاية المطاف وكان أبرزهم بطليموس بن لاجوس الذي تمكن من الاستقلال بمصر وتأسيس دولة البطلمة عام 323 ق.م.

تزامن مع تأسيس بطليموس الأول لدولته الجديدة تنظيم مؤسساتها الداخلية لضمان استمرارها ووجودها القوي بين مثيلاتها من الممالك الهلنستية الأخرى التي قامت على أنقاض إمبراطورية الإسكندر المقدوني، ولهذا كله كانت فكرة أغرقة مؤسسات الحكم والإدارة والجيش من ضمن مخططات مؤسسها التي سار عليها من بعده ملوك البطلمة الأوائل الذين حكموا مصر .

إن الرؤية المقترحة في هذا البحث تقوم على طرح موضوع أغرقة مؤسسات الحكم والإدارة والجيش في مصر البطلمية (323-31 ق.م) من خلال التركيز على تأسيس الدولة وتنظيم مؤسساتها الداخلية ونقل العاصمة من منف إلى الإسكندرية، وتولى المناصب السيادية والمالية والإدارية وتكوين الجيش البطلمي، وتداعيات أغرقة مؤسسات الدولة على مصر .

قسم الموضوع إلى مقدمة وأربعة محاور رئيسة وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع ، فالمحور الأول يتناول تأسيس دولة البطلمة، ويتطرق المحور الثاني لتنظيم المؤسسات الداخلية، ويعالج المحور الثالث تكوين الجيش البطلمي، وخصص المحور الرابع والأخير للحديث عن تداعيات أغرقة مؤسسات الدولة البطلمية .

أولاً: تأسيس الدولة البطلمية :-

يبدو من الأهمية بمكان التعرف على الظروف التي كانت وراء تأسيس الدولة البطلمية وهذا يقودنا إلى العودة قليلاً لمرحلة تزعم مقدونيا للمدن الإغريقية في عهد فيليب الثاني (Philip II) الذي تمكن من تنظيم مؤسساتها الداخلية بما في ذلك إعادة بناء الجيش المقدوني والتوسع وتقوية موارد مقدونيا الاقتصادية⁽¹⁾، وأعد العدة لمواجهة الفرس وطردهم من بلاد الإغريق،

(1) زايد ، عادل عمران محمد، " الإسكندر المقدوني : سنوات قليلة وإنجازات كبيرة 336-323 ق.م"، مجلة المنتدى الجامعي للدراسات الإنسانية والتطبيقية، جامعة بني وليد، العدد 21، (مارس 2018م)، ص 83-84.

ولكنه توفي(*) تاركًا المجال لولده الإسكندر الثالث / الأكبر (Alexander The Great) (***) الذي لم يتجاوز العشرين ربيعًا⁽¹⁾ لاستكمال دوره معتمدًا على اقتصاد قوي وجيش مدرب قوي ووجهز بأحدث الأساليب العسكرية في ذلك الوقت⁽²⁾.

أظهر الإسكندر منذ توليه مقاليد الأمور الشدة والحزم ورباطة الجأش، وتمكن من القضاء على ثورة المدن الإغريقية بزعامة طيبة التي أمر بتدميرها باستثناء المعبد وبيت الشاعر بنداروس (Pindaros) وفاءً لذكراه وعائلته التي تربطه علاقات صداقة مع عائلة الإسكندر وقتل سكانها، ومن تبقى منهم على قيد الحياة تم استرقاقهم وبيعهم في أسواق النخاسة⁽³⁾، ولعل مرد استخدام القوة المفرطة بُحاً طيبة - إن جاز لنا القول هنا - أراد إرسال رسالة واضحة لجميع المدن الإغريقية الأخرى التي قد تفكر في أن تحذو حذو طيبة سيكون مصيرها مشابهاً لها مما جعل المدن الإغريقية لم تعد تفكر في ترك التحالف معه ومضت في دعم مخططاته الرامية لقتال الفرس⁽⁴⁾، وبالفعل تمكن من دحرهم وطردهم من كافة سواحل بلاد الإغريق وتعقبهم والتوسع

(*) اغتيل الملك فيليب الثاني في صيف 336 ق.م أثناء الاحتفال بزواج ابنته من الإسكندر ملك ابيروس، ولا يزال أمر اغتياله يلفه الغموض. للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر: فادية محمد أبوبكر، مصر زمن البطالمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006م، ص 54.

(**) للمزيد من المعلومات حول نشأة الاسكندر المقدوني وحياته أنظر :

Plutarchus, Demosthenes and Cicero Alexander and Caesar, with an English Translation By :Bernadotte Perrin , 1967. II, 1, L.C.L; Plutarch, The Life of Alexander the Great ,<http://www.idph.net>, p. 1;

بلوتارك (فلوطارخوس)، تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق: الاسكندر Alexander، ترجمة: جرجس فتح الله، ط1، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، 2010م ، مج 3، ص 1255، وبيرن، فوكس، الإسكندر الأكبر، سلسلة أعلام ومشاهير، إشراف رؤوف سلامة موسى، دار مطابع المستقبل بالفجالة؛ مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، الإسكندرية؛ بيروت، د.ت، ص 5، العابد، مفيد رائف، سورية في عصر السلوقيين من الاسكندر إلى بومبيوس 333-64 ق.م : دراسة سياسية حضارية ، دار شمال للطباعة والنشر ، دمشق ، 1993م، ص 15-16.

(1) السيد، محمد عبدالفتاح، المصريون والبطالمة: أيولوجية الحكم السياسي في مصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004م، ص 39.

(2) Nawotka.K, Alexander the Great, Cambridge Scholars in Publishing , British Library Cataloguing in Publication Datam Data, NE6 2XX, UK, 2010, Chapter Imp.4- 5.

(3) مكاي، فوزي، الشرق الأدنى في العصرين الهلينستي والروماني، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1998م ، ص 12.

(4) سارة ، خليل ، تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، منشورات جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، 2008-2009م ، ص 54-55.

على حساب الإرث الفارسي في الشرق⁽¹⁾، وكانت أولى أهدافه حرمانهم من الاستفادة من الساحل الفينيقي بالسيطرة عليه وتأمين ظهر قواته التي تفكر في التوجه لضم مصر وضمان عدم التفاف الفرس واستخدام الأسطول الحربي للقيام بمجمعات محتملة ضده للعودة لسواحل بلاد الإغريق⁽²⁾.

هذا ما حدث بالفعل فقد دانت له المدن الفينيقية وفتحت أبوابها للإسكندر باستثناء مدينة صور التي استعصت عليه قرابة السبعة أشهر^(*) ودخلها عنوة وأمر بتدميرها⁽³⁾، وتوجه لمصر التي رحب سكانها به بوصفه المخلص لهم من برائن الاحتلال الفارسي الذي عانت منه البلاد الأمرين من سوء الإدارة والتنظيم؛ والسياسة الضريبية المجحفة التي أثقلت كاهل المصريين وأرهقت خزينة الدولة، وصاروا يتحينون الفرصة المواتية للتخلص من الفرس⁽⁴⁾، ولا يمكن قراءة وفهم ترحيب المصريين كدلالة على ضعفهم أو تسليمهم بالخضوع للوفاة الجديد دون قتال بعدم قدرتهم على مواجهته ويكفي التذكير بمقاومتهم الشرسة للهكسوس التي توجت بالقضاء عليهم⁽⁵⁾، وكذلك الثورات التي شهدتها البلاد ضد الفرس تؤكد ذلك⁽⁶⁾، ومن هنا يمكن تفسير الترحيب المصري بقدوم الإسكندر كمنقذ لهم من سيطرة الفرس فأستقبله الأهالي في منف استقبال الفاتحين، وفي المقابل أظهر احترامًا كبيرًا للكهنة وللديانة المصرية⁽⁷⁾، وأمر بتأسيس مدينة الإسكندرية التي اختار موقعها بعناية شديدة^(*)،

- (1) ايمار، اندريه؛ جانين اوبوايه، الشرق واليونان القديمة: في تاريخ الحضارات العام، ترجمة: فريد م داغر؛ فؤاد ج ابوريحان، ط2، منشورات عويدات، بيروت؛ باريس، 1981م، مج1، ص 404.
- (2) بلوتارك (فلوطارخوس)، المصدر السابق، مج 3، ص 1276.
- (*) للمزيد من المعلومات حول حصار مدينة صور وتفاصيل أخرى تتعلق بمصيرها عقب دخولها من قبل الإسكندر. انظر: المصدر نفسه، مج 3، ص 1276-1277؛ صفا، محمد أسد الله، الإسكندر المقدوني الكبير، دار النفائس، بيروت، 1985، ص 170 وما بعدها.
- (3) زايد، عادل عمران، "الإسكندر المقدوني: سنوات قليلة وإنجازات كبيرة 336-323 ق.م"، المرجع السابق، ص 93.
- (4) نصحي، إبراهيم، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ط7، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1998، ج1، ص 17-18؛ العبادي، مصطفى، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1999م، ص 18-19.
- (5) جريمال، نيقولا، تاريخ مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتي، ط2، دار الفكر للدراسات والتوزيع والنشر، القاهرة، 1993م، ص 241-252.
- (6) الناصري، سيد أحمد علي، الشرق الأدنى في العصر الهلينيستي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1995-1996، ص 72-73.
- (7) نصحي، إبراهيم، المرجع السابق، ج 1، ص 19؛ العبادي، مصطفى، المرجع السابق، ص 18-19؛ حسين، عاصم أحمد، دراسات في تاريخ وحضارة البطالمة، ط2، مطبعة العمرانية الاوفست، الجيزة، 1991م، ص 13.

وواصل سيطرته على بابل وشق جبال فارس واستولى على خزائن ملوك الفرس واستولى على عاصمة ميديا القديمة اكباتانا (Ecbatana)، ولكن مرض الإسكندر ووفاته المفاجئة عام 323 ق.م دون أن يوصي لأحد بالحكم من بعده جعل من إمبراطوريته المترامية الأطراف تشهد خطر التقسيم والصراع بين قاداته⁽¹⁾.

تميزت المرحلة التي أعقبت وفاة الإسكندر بالانقسامات والنزاعات بين قاداته وقد بدى ذلك واضحًا وجليًا في مؤتمر بابل الذي عقد لتدارس مصير الإمبراطورية المقدونية، وتعالق الأصوات الرامية لتقسيمها بقيادة بطليموس بن لاجوس^(*) (Ptolemaios Lagos I)⁽²⁾، وفي المقابل كانت الجهود حثيثة للحفاظ على وحدة الإمبراطورية المقدونية وإبعاد شبح التقسيم بقيادة برديكاس^(**) (Perdiccas)⁽³⁾، وتمكن دعاة التقسيم من تنفيذ مخططاتهم، فبطليموس الطامح إلى انتزاع مصر وتقويت نفوذه فيها اتخذ خطوات عملية لبلوغ أهدافه منها تخلصه من كليومونيس النقراطي (Cleomenes El)

(*) تقع الإسكندرية على شريط ضيق من الأرض محصور بين البحر المتوسط وبحيرة مريوط بالقرب من مصب الكانوبي أحد فروع النيل، وقد اختار الإسكندر الأكبر قرية راكوتيس مكانا لبناء مدينته الجديدة التي تستمد اسمها من أسم مؤسسها . للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر: سترابون، الكتاب السابع عشر عن جغرافية سترابون(سترابون): وصف ليبيا ومصر ، نقله عن الإغريقية : محمد المبروك الدويب ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 2003م، الفقرة 6؛ السعدني ، محمود إبراهيم ، آثار مصر في اليونانية والرومانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2008 ، ص 16؛ زايد ، عادل عمران محمد ، " الإسكندرية عاصمة الدولة والثقافة في العهد البطلمي " ، في مجلة القلعة ، كلية الآداب والعلوم ، مسلاته ، العدد 3 ، (ربيع 2015م) ، 496-515؛ مارلو، جون ، العصر الذهبي للإسكندرية، ترجمة: نسيم مجلي، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، 2002م ، ص 23؛ علي ، زكي ، الإسكندرية في عهد البطالمة والرومان، مطبعة دار المستقبل، ص 2 - 4.

(1) زايد ،عادل عمران ،" الإسكندر المقدوني : سنوات قليلة وإنجازات كبيرة 336-323 ق.م" ، المرجع السابق، ص 95-96.

(*) تربي بطليموس في القصر المقدوني مع الإسكندر ورفقائه من الأسر النبيلة أبوه لاجوس وأمه تدعى ارسينوي، وتربطه صداقة قوية بالإسكندر فصار من حرسه وقاداته المقربين. للمزيد من المعلومات حول أصول ونشأة بطليموس الأول انظر: نصحي ، إبراهيم ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 54-55؛ الناصري ، سيد أحمد علي، المرجع السابق ، ص 115-116.

(2) حسن ، عبدالحليم محمد ، الشرق الأدنى في العصر الهلنستي ، دار الثقافة العربية ، 2002-2003م، ص 30-33؛ العبادي ، مصطفى ، المرجع السابق ، ص 28-29.

(**) يعد من أكثر قادة الإسكندر نفوذًا ومن المقربين إليه ، ويقال أن الإسكندر المقدوني سلم له اختامه الخاصة أثناء مرضه قبل موته، وقد ترأس مؤتمر بابل عام 323 ق.م نظرًا لسنه ومكانته بين أقرانه ، وهو قائد الفرقة العسكرية الألف (Chiliarch). للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر: الناصري، سيد أحمد علي، المرجع السابق ، ص 96.

(3) مكايي ، فوزي ، المرجع السابق ، ص 25-28.

(Naucratis) المسؤول المالي الذي عينه الإسكندر على مصر، وهو صديق مقرب من برديكاس استغل شكاوى الأهالي من سياسته الضريبية المجحفة فأمر بإعدامه ومصادرة جميع ممتلكاته، ووسع حدود مصر الغربية، وقام بتغيير وجهة جثمان الإسكندر المقدوني المقرر دفنه في مقدونيا إلى منف بمصر بعد أن تأمر مع الضابط المسؤول على تغيير وجهته⁽¹⁾.

كل هذه الخطوات التي قام بها بطليموس في مصر توحى بأنه عاقد العزم على تنفيذ مخططاته الرامية للسيطرة على مصر؛ وتركت الشك والحيرة في قلب برديكاس الذي أوجس خيفة من سلوك بطليموس فكان لا بد له من مواجهته ومنع تقسيم الإمبراطورية، ولكن مساعيه تلك فشلت وتمرد عليه قادته وجنوده عندما قرر قتال بطليموس وطرده من مصر أثناء عبوره للفرع الكانوبي للنيل؛ حيث قتل على إثر ذلك وتنفس بطليموس الصعداء وتخلص من أشد معارضييه وصار بمقدوره الاستقلال بمصر وإعلان قيام دولته الجديدة⁽²⁾.

والواقع أن تأسيس الممالك الهلنستية^(*) التي قامت على أنقاض إمبراطورية الإسكندر المقدوني قد تم بعد صراعات عنيفة ومعارك طاحنة بين قادته أفضت في النهاية إلى اقتسام الإمبراطورية إلى عدة ممالك، ولعل من أهمها دولة البطالمة (Ptolemies) في مصر بقيادة بطليموس الأول (Ptolemaios I)، ودولة السلوقيين (Seleukeia) في سوريا بقيادة سلوقس الأول (Seleukos I)، وانتيجونية بقيادة أنتيجونوس الثاني (Antigonos I) في مقدونيا وبلاد الإغريق، ولم ينته الصراع بين قادة الإسكندر ورفاقه وزملاء السلاح (Etairoi) بعد تأسيس ممالكهم؛ بل ظل السمة الأبرز التي ميزت العصر الهلنستي⁽³⁾، وإذا كان بطليموس الأول قد نجح في تأسيس الدولة البطلمية في مصر حوالي 323 ق.م، فمتى وكيف بدأ في تنظيم مؤسساتها الداخلية وفق المنظور الذي يتناسب وطموحات البطالمة؟.

تنظيم المؤسسات الداخلية :-

(1) يحيى ، لطفي عبدالوهاب ، دراسات في العصر الهلنستي: أبعاد العصر الهلنستي دولة البطالمة في مصر، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1978، ص 116-120.

(2) مظهر ، إسماعيل ، بدء عصر البطالمة: محاضرات القيت في المؤتمر الثامن للمجمع الثقافي المصري، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2014م ، ص 13.

(*) بدأت تتشكل بذور حضارة جديدة عرفت لاحقاً عقب وفاة الإسكندر المقدوني بالحضارة الهلنستية وهي مزيج من تلاقح/ تمازج حضارة الإغريق بالحضارة الشرقية فأنتجت لنا حضارة مميزة كان لها طابعها الخاص الذي ميزها عن غيرها من الحضارات القديمة . للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر: غربال ، محمد شفيق ، تكوين مصر ، ترجمة: محمد شفيق غربال؛ محمد رفعت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، 1957، ص 59-67؛ زهيراني ، الأب متوديوس ، الإسكندر الكبير: فتوحاته وريادة الفكر اليوناني في الشرق، دار طلاس للدراسات والترجمة ، دمشق ، 1999، ص 15-19؛ قليني ، جيورجيو ، الهيلينستية ، ترجمة: حسن بن منصور " منشورات زرياب، الجزائر، 2004، ص 9.

(3) ززايد ، عادل عمران محمد ، " العلاقات البطلمية الرومانية (323-31 ق.م) "، مجلة المتكأ ، مركز المتكأ للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية ، بني وليد ، العدد6 ، (ديسمبر 2018)، ص 170-108.

شرع بطليموس الأول منذ أن قام بتأسيس كيانه الجديد المستقل بتنفيذ مجموعة خطوات مهمة لتعزيز مكانة البطالمة في حكم مصر، فتركيز السلطات والسيطرة على مفاصل الدولة كان هدفاً سعى لتحقيقه بطليموس الأول، وعلى الرغم من أن المدن في بلاد الإغريق قد تجاوزت مرحلة الملكية بخطوات إلى الأمام لتصل لمرحلة متقدمة من الديمقراطية؛ لكنه عصر حكم الملكية المطلقة في موطنه الأصلي مقدونيا في عهد ملكها الإسكندر المقدوني الذي أله نفسه وبما أن البطالمة كانوا قلة مقارنة بالمصريين سكان البلاد ولضمان سيطرتهم على مؤسسة الحكم لابد من جعل ولاية العهد والحكم حكراً عليهم وتلاقت مصالحهم مع فكرة الحكم الإلهي التي طبقها فراعنة مصر من قبلهم فأخذوها لخدمة أهدافهم⁽¹⁾؛ فأصبح بطليموس على رأس دولة ألفت حكم الملوك الآلهة وبعد أن حكم كوال على مصر ساتراياً (Satrapes) غدى ملكاً وفعوئاً لمصر منذ عام 305 ق.م يسمى بالملك الإله ابن الإله⁽²⁾.

لقد كان بطليموس الأول على علم ودراية كبيرة بما كانت تمر به مصر أبان سيطرة الفرس من التفكك السياسي والفساد الإداري ومعاناة السكان من السياسة الضريبة المجحفة التي أثقلت كاهلهم، فعمل على محاولة تنظيم مؤسسات الحكم والإدارة والجيش، وهنا كانت سياسته ترمي لبناء دولة قوية يكون للعنصر المقدوني الكلمة العليا؛ فعمد إلى انتهاج سياسة الاعتماد على العنصر الإغريقي بصفة عامة والمقدوني بصفة خاصة في تولى المناصب الكبرى/السيادية في دولته فشجع على هجرتهم لمصر واستقرارهم فيها مقابل منحهم امتيازات خاصة مثل تملك الأراضي الزراعية⁽³⁾.

ويرى تارن أنه رغم وفود بعض المقدونيين مع بطليموس الأول وتمتعهم على الدوام بمراكزهم ومكانتهم المميزة؛ لكنهم كانوا قلة ضئيلة جداً لا تأثير لها؛ وفي المقابل أتحال الإغريق على مصر كالسيل حتى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد منهم المرتزقة وكذلك المستوطنون، ونزح معهم تراقيون وآسيويون سرعان ما تطبعوا بالطابع الهلينيستي، ففي عام 252 ق.م كان أحد الرومان منضوياً في سلك الجيش البطلمي⁽⁴⁾، وهذا ما أكده ولبانك من أن البطالمة شجعوا على قدوم وتدفق الأجانب الكبير من مختلف الجنسيات خلال السنوات الخمسين الأولى من حكمهم لمصر نظراً لحاجتهم للقوة البشرية من أجل تأمين وحماية سيطرتهم على البلاد⁽⁵⁾.

(1) العبادي، مصطفى، المرجع السابق، ص 45-46.

(2) المرجع نفسه، ص 46.

(3) الناصري، سيد أحمد على، المرجع السابق، ص 131.

(4) تارن، وليم وود ثورب، الحضارة الهلينيستية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة: زكي علي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015م، ص 190-191.

(5) ولبانك، فرانك، العالم الهلينيستي: حملة الإسكندر على الشرق ونشأة الممالك الهلينيستية، ترجمة وتقديم: أمال محمد محمد الروبي، مراجعة محمد إبراهيم بكر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009، ص 126.

وبحسب آيدرس بل فإن ما قيل عن بطليموس الأول وخلفاءه الذين تخلوا تمامًا عن السياسة التي رسمها الإسكندر ففروا من حيث المبدأ بين الإغريق والمقدونيين من باب أولى بوصفهم سادة (Herrenvohk) وبين المصريين المسودين المنتمين إلى جنس أدنى أبعدها عن تولى المناصب الإدارية الكبرى، كل هذه الأحكام والتفاسير يعوزها الأدلة القاطعة فمسألة وجود بعض الاختلاف في الوضع القانوني للطرفين موجودة كون تمتع المقدونيون بامتيازات معينة والقيت أعمال السخرة في شق قنوات الري وإقامة الجسور على كاهل الفلاحين المصريين، وفي المقابل انتظم الإغريق في جماعات قومية أو جاليات (Politeumata) لها قوانينها الخاصة؛ لكن كل ذلك لا يؤكد على وجود هذا التمييز (العنصري) الصارخ ويقر بأن معاملة المصريين في العهد البطلمي معاملة الأذنياء المغلوبين على أمرهم مرده عدم المساواة مع الإغريق في النواحي الاقتصادية والاجتماعية⁽¹⁾.

وناقش السعدني سؤالاً طرحه وحاول الإجابة عليه وهو لماذا بدأ الفاتحون المقدونيون مشوار تواجدهم في الشرق القديم ببناء المدن الجديدة، كأول خطوة في مشروعهم الاستعماري، وأجاب بالقول أن المقدونيين ومعهم العنصر الإغريقي يدركون حقيقة أهدافهم ووسائلهم لبلوغ تلك الأهداف، ومنها ضرورة الحفاظ على كيانهم (العنصري) وعدم الاختلاط بالرعايا المغلوبين على أمرهم ولاسيما وأنهم أكثر عددًا منهم، ومن ثم كان الخوف من ذوبان هذه الحفة البشرية الفاتحة الغازية وسط جموع البشر الغفيرة من أهالي البلاد المفتوحة⁽²⁾، ويقر في موضع آخر أثناء الحديث عن خصائص العصر الهلينيستي منها ظهور فكرة العالمية واللغة المشتركة لشعوب الإمبراطورية المقدونية الكويني (Koine) وانتشار التعليم التي تخص طبقة الحاكمين، المقدونيين وموظفيهم الإغريق بينما الشعوب المحكومة، المقهورة لم يكن لها أي نصيب أو حتى قدر من المشاركة الإيجابية، وأضاف متسائلًا " هل عرفنا يومًا أن أفاد الغازي البلد المحتل " وخلص إلى التأكيد على أن تلك الامتيازات الطبقية جناها الفاتحون على حساب الشعوب المقهورة⁽³⁾ .

وفي الواقع عند مناقشة سياسة ملوك البطالمة الداخلية في مصر ولاسيما الأوائل منهم في عصر التأسيس والبناء والقوة نلاحظ أن من ثوابت حكمهم لمصر تركيز السلطات في أيديهم وهو أمر مقبول فالملكية الإلهية كانت وسيلتهم لاستمرارهم وتفردهم بالحكم، وتطلب الحفاظ على الحكم تقوية مركزهم بين الرعية وعدم الاختلاط بجموع المصريين بما أنهم كانوا قلة وسط أكثرية، وهي سياسة عززت من فرص بقائهم أسياد للبلاد مع تشجيعهم المستمر لاستقرار العنصر المقدوني والإغريقي ومنحهم امتيازات كبيرة فاقت بكثير ما كان للمصريين؛ ومن ثم يمكن فهم لماذا سلك ملوك البطالمة سياسة نقل العاصمة من منف إلى الإسكندرية وأغرقة مؤسسات الحكم والإدارة والجيش .

- (1) بل ، هـ. آيدرس ، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي : دراسة في انتشار الحضارة الهلينية واطمئنانها، نقله إلى العربية : عبداللطيف أحمد علي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1973 ، ص 46-49.
- (2) السعدني ، محمود ، آثار مصر في الفترة اليونانية -الرومانية، المرجع السابق ، ص 15.
- (3) السعدني ، محمود، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان : موضوعات مختارة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2000م، ص 11-14.

الحكومة المركزية في الإسكندرية :

إن الدارس للتاريخ المصري القديم منذ زمن الفراعنة / عصر الأسرات المصرية القديمة بعهوده المختلفة حتى خضوعها لسيطرة الفرس يلحظ أن طيبة ومنف كانتا من أهم عواصم البلاد؛ وشهدت منف توحيد مصر في عهد الملك المصري مينا حوالي 3200 ق.م التي اتخذها عاصمة لمصر الموحدة واستمرت منف قرابة ثلاثة آلاف عام⁽¹⁾ حتى قدوم الإسكندر لمصر الذي زارها عاصمة البلاد⁽²⁾، ونقل إليها بطليموس جثمان الإسكندر قبل أن يعيد نقله لاحقاً ليُدفن في الإسكندرية⁽³⁾، ولكن هذه الشهرة التي نالتها منف تغيرت مع تأسيس الإسكندرية التي ستحل محلها عاصمة للبطالمة في مصر⁽⁴⁾؛ ولسنا بصدد تتبع تاريخ كل من منف والإسكندرية وأهميتهما في مصر وهذا الموضوع يحتاج إلى قول الكثير والمجال لا يتسع لذلك هنا ولكن سيتم التركيز على أسباب نقل العاصمة من منف إلى الإسكندرية في العهد البطلمي لفهم سياسة ملوك البطالمة في مصر.

تعددت الآراء حول أسباب نقل العاصمة من منف إلى الإسكندرية ومنها من يقرن أمر الإسكندر المقدوني بتشييدها لتنافس مدينة صور وتحل محلها لدعم التجارة البحرية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط⁽⁵⁾، وبحسب لطفي عبدالوهاب يحي فإن البطالمة اختاروا الإسكندرية لتكون عاصمة لمملكتهم المتأغرقة بدلاً عن طيبة أو منف العاصمتين التقليديتين للفراعنة؛ لأنهما لا يخدمان توجهات ملوك البطالمة الرامية للتواجد في الحوض الشرقي للبحر المتوسط الذي شهد تنافس وصراع بين الممالك الهلنستية على مناطق النفوذ والتجارة⁽⁶⁾.

ويرى أبو اليسر فرح أن خطوة اختيار الإسكندرية جاءت لكي تعكس تحولاً في فكر بطليموس الأول الذي كان يشابع الإسكندر في أفكاره حول المساواة بين الشعوب، إلا أنه ما لبث أن تراجع عن هذه الأفكار، وأخذ يطبق تعاليم الإغريق ويؤمن بتفوقهم على ما عداهم من الشعوب ولهذا كان اختياره للإسكندرية بوصفها مدينة إغريقية بدلاً عن منف المصرية⁽⁷⁾.

(1) دياب، أحمد فاروق رضوان ، "الطريق النهري بين منف والإسكندرية في العصر البطلمي :دراسة وثائقية"، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، المؤتمر الدولي الثالث للتأثير والتأثر بين الحضارات، مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ج3 ، 2012م، ص 320.

(2) أبوبك، فادية محمد، مصر زمن البطالمة، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2006م ، ص 58.

(3) على ، زكي ،تاريخ مصر البطلمية بين المد في عهد الملوك الثلاثة الأولين والجزر في عهد كليوباترة السابعة، صر 15-16.

(4) فرح ، أبو اليسر ، المرجع السابق ، ص107.

(5) فرح ، أبو اليسر ، المرجع السابق ، ص 105،

(6) يحي ، لطفي عبدالوهاب ، المرجع السابق ، ص 264-268.

(7) فرح ، أبو اليسر ، المرجع السابق ، ص107.

ويقدم السعدني بخلاف هذه الآراء قراءة مغايرة تماماً لأسباب اختيار البطالمة الإسكندرية عاصمة لملكهم ويرى أن اختيار الإسكندر المقدوني لموقع مدينته الجديدة في دلتا مصر القديمة لم يكن اختيار عشوائياً أو جاء بمحض الصدفة بل جاء عن علم وحسن تقدير لطبيعة وهدف الكيان السكاني الجديد، فهو يضمن عدة نجاحات مؤكدة لوجوده سواء الأمنية الدفاعية عنه، أو الاقتصادية التجارية لنشاط سكانه؛ فضلاً عن طيب هوائه واعتدال مناخه بفضل اطلالته على شاطئ البحر دون أية موانع أو حواجز، وخلص إلى التأكيد على أن قرار الاسكندر بناء مدينة باسمه لم يكن بالضرورة كبديل عن مدينة صور الفينيقية التي دمرها عقاباً لها على عدم استسلامها له، كما لم تكن بالضرورة، بديلاً عن العاصمة القديمة لمصر منف، بدليل عدم الانتقال إليها، إلا مع بطليموس الأول، وبفضل جهود ملوك البطالمة الأوائل أصبحت الإسكندرية كعبة ومقصداً لكل علماء العالم القديم من كل التخصصات ومركز للعلم والمعرفة إلى جانب كونها مركز تجاري عالمي مهم⁽¹⁾.

لقد كان هدف البطالمة منذ توليهم زمام الأمور في مصر تغيير النظام الإداري السابق تغييراً كاملاً بسبب ما أصابه من الضعف والتفكك والإهمال إبان السيطرة الفارسية، وكان هدفهم الأكبر من جراء هذا التغيير هو أغرقة الجهاز الحكومي وتطويره بما يناسب الظروف الجديدة ولهذا كله تم نقل مركز الحكم إلى الإسكندرية وتعيين أعداد كبيرة من اليونانيين في القصر الملكي؛ وفي الوظائف والمناصب الإدارية، والاستعانة بالخبرات اليونانية لتطوير الإدارة المصرية وتطويرها لتلائم روح العصر⁽²⁾.
لقد بدأت سياسة

البطالمة تؤتي أكلها في أواخر عهد بطليموس الأول وتحسن دخل الدولة وتدفقت الأموال على خزانة القصر الملكي، واستقبلت الإسكندرية العلماء في مختلف فروع العلم والمعرفة، وحرص ملوك البطالمة الأوائل على تشجيعهم وإغراق الأموال عليهم؛ فهاجر إلى الإسكندرية كبار الرسامين أمثال انتفيلوس وأنبللسوعالم الرياضيات يوقليد/إقليدس (Euclid) وإراتوستين والطبيب المشهور هيروفيلوس (Herophilos) والفيلسوف تيودوروس، وعالم اللغة زينودوتوس، وأعظم علماء الفلك هيبارخوس وأرشيميديس عالم الطبيعة وصاحب نظرية الكتلة والكثافة⁽³⁾، وربما ما قاله العبادي عن سياسة بطليموس الأول في جلب العناصر الإغريقية لمصر ينطبق تماماً على تقريره للعلماء وتشجيع العلم وصدق قوله حينما ذكر "... لم يجد بطليموس عناء في الحصول على أعداد كبيرة من الإغريق، فإن اشتهار مصر بالغنى واشتهار بطليموس بالكرم جعل جماعات كبيرة منهم تأتي إلى مصر"⁽⁴⁾.

استفاد ملوك البطالمة من وفود الخبرات العلمية إلى الإسكندرية التي صارت مقصد كل من يسعى لتحقيق طموحاته، وهذا كله ما كان له أن يتم لولا توافر الظروف المشجعة على قدومهم واستقرارهم والفضل يرجع في ذلك لملوك البطالمة، وهنا

(1) السعدني، محمود إبراهيم، آثار مصر في الفترة اليونانية - الرومانية: موضوعات مختارة، المرجع السابق، ص 17-16.

(2) سارة، خليل، المرجع السابق، ص 193-194.

(3) الناصري، سيد أحمد على، المرجع السابق، ص 139.

(4) العبادي، مصطفى، المرجع السابق، ص 48.

صارت الإسكندرية عاصمة ليست للبطالمة فحسب بل للعالم الهلينيستي بما في ذلك مدن وموانئ البحر المتوسط، فقرر بطليموس بناء أكاديمية عهد بتنفيذ هذا المشروع إلى ديمتريوس الفاليريوي (Demeterius of Phalerum)^(*) الذي قام بتخطيط وإنشاء الموسيون (Mouseion)^(**) دار العلم⁽¹⁾ على نمط مدارس أثينا الفلسفية، قد تم تأسيس مكتبة الإسكندرية التي حوت أهم الكتب والمؤلفات وكذلك شيد البطالمة منارة الإسكندرية التي أسهمت في تسيير الملاحة البحرية⁽²⁾، ويبدو أن عهد كل من بطليموس الأول وخليفته بطليموس الثاني قد شهد التنظيم الداخلي لمؤسسات الدولة كثيراً من العناية، ومع نهاية عهد بطليموس الثالث كان نظام الحكم في مصر استكمل معظم معالمه الأساسية⁽³⁾، وإذا كان بناء العاصمة الجديدة على النمط الإغريقي ونقل مركز الحكومة من منف إليها قد أسهم في تعزيز مكانة البطالمة وسيطرتهم على الحكم فمتى وكيف تم أغرقة الإدارة والجيش في مصر؟.

أغرقة الإدارة في مصر البطلمية:-

عانت مصر من جراء الاحتلال الفارسي فساداً وضعفًا إداريًا أسهم في قيام الثورات ضد الفرس بسبب سوء معاملتهم للسكان وإرهاق كاهلهم بالضرائب، وهذا لا يعني أنها لم تعرف التنظيم الإداري أو أنها حديثة العهد به أو عرفته مع قدوم الإسكندر المقدوني ومن بعده البطالمة؛ فحضارتها القديمة ظلت شاهداً على مدى تقدمها في شتى المجالات بفضل حسن التنظيم والإدارة⁽⁴⁾، وعندما دخلها الإسكندر أبقى على التقسيم الإداري لمصر ولكنه عين مسؤول مقدوني على المالية في

(*) تتلمذ على يد الفيلسوف أرسطو، وكان حاكم أثينا الذي هاجر إلى مصر بعد طرده من منصبه وهو فيلسوفاً وإدارياً وأديباً وخطيباً. للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر: أبو العطا، الحسين إبراهيم، مكتبات العصر الهلينيستي 323-30 ق.م: البداية والنهاية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2002م، ص 20-21؛ الناصري، سيد أحمد على، المرجع السابق، ص 139-140.

(**) من أهم الإنجازات التي حققها البطالمة في الإسكندرية ويعني الموسيون دار العلم والموسيات ربات الفنون كانت عبادتهن ترمز إلى التأمل والتفكير العلمي. للمزيد من المعلومات. انظر: أبو العطا، الحسين إبراهيم، المرجع السابق، ص 19-22.

(1) أبوبكر، فادية محمد، التاريخ السياسي والحضاري لمصر في عصر البطالمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004، ص 307،

(2) حسين، عاصم أحمد، دراسات في تاريخ وحضارة البطالمة، المرجع السابق، ص 190-195.

(3) سارة، خليل، المرجع السابق، ص 194؛ السيد، محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص 70.

(4) الناصري، سيد أحمد على، المرجع السابق، ص 130.

مصر هو كليومينيس النقراطيسي الذي تخلص منه بطليموس الأول وصادر جميع ممتلكاته بحجة شكاوي الأهالي المتكررة من سياسته الضريبية المجحفة في حقهم⁽¹⁾.

وهنا لابد من التذكير بمسألة غاية في الأهمية تتعلق بهدف الإسكندر من السيطرة على مصر هو ضمان تدفق الأموال من خلال السيطرة على الأمور المالية وكذلك الجيش، وهذا النهج نراه بوضوح في سياسة ملوك البطالمة الأوائل الذين عملوا على تغيير وتطوير الإدارة في مصر بما يخدم تطلعاتهم السياسية ومصالحهم الاقتصادية، ولتحقيق ذلك استعانوا بالعنصر المقدوني والإغريقي في تولى المناصب الإدارية⁽²⁾.

يعد منصب زير المالية المسمى ديوكيتيس (Dioeketes) من أهم مناصب الحكومة المركزية، وهو المساعد الأيمن للملك، وسلطانه كبير على جميع مرافق الدولة، تحال إليه جميع التقارير والبيانات والإحصاءات والشكاوي، وتصدر عنه الأوامر الإدارية والمذكرات التفسيرية للقوانين واللوائح⁽³⁾.

كان لوزير المالية مساعدون مباشرون يحمل كل واحد منهم لقب مساعد وزير المالية هيبيوديوكيتيس (Hypodioektes)، وهم بمنزلة رؤساء المكاتب التي تنقسم إليها إدارة الوزير بحيث منهم كان يختص بإقليم من أقاليم مصر، ويعد رئيس الحسابات (Eklogistes) من كبار الموظفين التابعين للوزير يعاونه في إعداد الإحصاءات وتقدير الضرائب كل سنة، ويساعده عدد كبير من المحاسبين⁽⁴⁾.

علاوة على هؤلاء الموظفين كان للملك معاونون يتبعون القصر مهمتهم الإشراف على الديوان الملكي أبرزهم كاتب رسائل الملك (Epistolographus)، وسكرتير الملك (Hypomvematographos) المختص بتسجيل قرارات الملك وتوجيهاته وردوده التي ترسل إلى الموظفين في مصالح الدولة المختلفة⁽⁵⁾.

والجدير بالذكر أن ما يتعلق بالإدارة المحلية لمصر من حيث تقسيماتها وحدودها الإدارية التي تنقسم مقاطعات تعرف كل واحدة منها باسم هيسيبو (Hesepu) أبقى عليها الإسكندر المقدوني وحافظ بطليموس الأول وخلفائه من ملوك البطالمة على نفس التقسيم وترجموا هيسيبو بلفظ نوموس (Nomos) ومعناها مقاطعة⁽⁶⁾، وعلى رأس كل نوموس قائد ذو صبغة عسكرية يسمى استراتيجوس، وهو قائد الحامية العسكرية والمشرف على إدارتها وشؤونها المالية، وإلى جانبه كان يوجد موظف يسمى نومارخوس، ومن اختصاصاته الإشراف على الأعمال العامة وأراضي الملك، ومن بين أهم الموظفين في النوموس

(1) السيد ، محمد عبد الفتاح ، المرجع السابق ، ص 53-54.

(2) فرح ، أبوالميسر ، المرجع السابق ، ص 101.

(3) سارة ، خليل ، المرجع السابق ، ص 194 ؛ السيد ، محمد عبد الفتاح ، المرجع السابق ، ص 71.

(4) سارة ، خليل ، المرجع السابق ، ص 194 ؛ أبوبكر ، فادية محمد ، المرجع السابق ، ص 196.

(5) المرجع نفسه ، ص 194-195.

(6) الناصري ، سيد أحمد على ، المرجع السابق ، ص 130؛ سارة ، خليل ، المرجع السابق ، ص 195.

الكاتب الملكي باسيليكوس جراماتيوس (Basilikos Grammateus) وهو بمنزلة السكرتير العام للنوموس، ومن أهم اختصاصاته إعداد التقارير الإحصائية والسجلات وجميع الأعمال المتعلقة الضرائب، وعين ثلاثة موظفين يونانيين هم إبيستاتيس النوموس /المراقب مختص بشؤون القضاء المحلي، وإبيستاتيس الحراس/ رئيس الشرطة، وإبيميليتيس/ المشرف المالي (Epimeletes) ويعاونه في ذلك مدير مالي (Oeconomes) (1).

لم يقتصر هذا التقسيم الإداري على ذلك وإنما تعداه إلى تقسيمات أصغر فالنوموس ينقسم إلى مناطق تسمى توبوس أوتوبارخيا (Topostoparchia) والنوموس ينقسم إلى قرى (Kome) ولكل قسم من هذه الأقسام موظفوه فالتوبارخوس يرأس التوبوسالكومي يرأس كومارخوس، وتعد إدارة هذه الأقسام صورة مصغرة عن إدارة النوموس فيها كاتب أو سكرتير يسمى توبوجراماتيوس (Topogrammateus)، وفي القرية كاتب القرية أو سكرتيرها كوموجراماتيوس (Komogrammateus)، ومدير مالي (Oeconomos) ومراقب (Epistaes) في كل من التوبوس والكومي (2)، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا كيف تمكن البطالمة من أغرقة مؤسسة الجيش في مصر؟

أغرقة مؤسسة الجيش البطلمي:-

تزامن مع تأسيس دولة البطالمة في مصر على يد بطليموس الأول الاعتماد على العنصر المقدوني والإغريقي في حكم البلاد، ويبدو أن التساؤل الذي طرحه العبادي في معرض حديثه على أغرقة الحكم في مصر مهم لمعرفة دوافع أغرقة الجيش البطلمي وهو: هل سيحكم بطليموس مصر بواسطة المصريين أو بواسطة المقدونيين والإغريق؟ (3).

إن الإجابة على هذا السؤال تتطلب الإمام بطرف تأسيس دولة البطالمة، فالمكان هو مصر والمؤسس مقدوني الأصل بعيد عن موطنه وبلاد مقدونيا، فهو يعي جيداً أنه إذا ما أراد تكوين دولة قوية يجب الاعتماد على بني جلدته، ولما كان الجيش الأداة والقوة الضاربة التي ستمكنه من بلوغ أهدافه، عمل بطليموس الأول على تشجيع العنصر المقدوني والإغريقي للاستقرار في مصر التي لم تكن خالية منهم فالحاميات العسكرية التي تركها معظمها من العناصر المقدونية والإغريقية؛ وبطليموس نفسه عندما قدم إلى مصر أحضر معه بعض فرق الجيش (4).

تتفق أغلب الدراسات الحديثة بالاستناد على ما ذكره ديودورس الصقلي من أن بطليموس الأول جلب معه ما يزيد عن 8000 جندي إلى مصر بعد انتصاره على ديمتريوس في معركة غزة عام 312 ق.م وهم بقايا جيشه المهزوم إذ جرت العادة

(1) المرجع نفسه ، ص 195-196

(2) المرجع نفسه، ص 196.

(3) العبادي ، مصطفى ، المرجع السابق ، ص 46.

(4) المرجع نفسه ، ص 47.

أن ينتقل ولاء هذه العناصر إلى القائد المنتصر⁽¹⁾، وهنا استفاد بطليموس منهم في بناء الجيش البطلمي؛ في حين أن هزائمه لم تكن تفقده الكثير من جنوده الذين يرفضون الانضمام لخصومه ويعودون أدرأجهم إلى مصر التي لهم فيها أراضي وممتلكات⁽²⁾.

إذن كان نظام الاقطاع / الاستيطان العسكري للمقدونيين والإغريق من أهم الوسائل التي استخدمها بطليموس الأول وخلفائه من بعده لضمان تأسيس جيش قوي موالٍ له، فقام بتوزيع الأراضي الزراعية ليستفيدوا من دخلها بدلاً من دفع رواتب مالية وحتى لا يقوموا بأعمال الشغب أو الثورة على السلطة الحاكمة وتفريغ المعسكرات منهم في أوقات السلم ليشتغلوا في أراضيهم المخصصة لهم من قبل الملك البطلمي⁽³⁾.

كان الجيش البطلمي يتكون من المقدونيين وهي عناصر نظامية تعزز بمكانتها وأصولها المقدونية ولها امتيازاتها ومنهم قادة الجيش؛ بالإضافة إلى العنصر الإغريقي من المرتزقة الذين تمرسوا في ساحات القتال وخدموا مع الفرس وغيرهم وكان مقدار الولاء عندهم بمقدار العطاء ولهم إقطاعاتهم العسكرية التي ضمنت بقاءهم واستقرارهم في مصر، أما العنصر الثالث في الجيش البطلمي هو العنصر المصري الذي لم ينل حقوقه كاملة أسوة بالعنصر المقدوني والإغريقي سواء من ناحية الاقطاعات أو التجهيزات أو الاستعانة به في المعارك الكبرى، ولكن موقعة كاملة أسوة بالعنصر المقدوني والإغريقي سواء من ناحية الاقطاعات أو حيث قلبوا هزيمتهم إلى انتصار باهر وطردهوا الجيش السلوقي الذي كاد أن يدخل مصر⁽⁴⁾، ولعل مرد عدم الاستعانة بالعنصر المصري في المهام الكبرى وحرمانه من حقوقه وعدم المساواة بينه وبين بقية العناصر المكونة للجيش البطلمي ونعني بذلك العنصر المقدوني والإغريقي مرده تخوف ملوك البطالمة منهم ولاسيما وأنهم أقلية وسط غالبية سواها الأعظم من المصريين، ولهذا عمدوا ملوك البطالمة الأوائل على عدم تقويتهم أو منحهم امتيازات خاصة من شأنها أن تهدد ملكهم وسيادتهم للبلاد⁽⁵⁾، ولكن السؤال هنا: ماهي تداعيات أغرقه مؤسسات الحكم والإدارة والجيش على مصر البطلمية؟

تداعيات سياسة الأغرقه على مصر البطلمية:-

إن الدارس لسياسة ملوك البطالمة الأوائل في بناء دولتهم يلحظ أنهم نجحوا في أغرقه مؤسسات الحكم والإدارة والجيش؛ وتبنوا نظام الحكم الإلهي، ونقلوا عاصمتهم إلى الإسكندرية التي بنيت على الطراز الإغريقي، واعتمدوا على الخبرات الإغريقية في بناء دولتهم وقدموا الامتيازات الخاصة لهم وشجعوا العنصر المقدوني والإغريقي للقدوم إلى مصر والاستقرار فيها بمنحهم

- (1) المرجع نفسه، ص 48؛ نصحي، إبراهيم، المرجع السابق، ج 1، ص 386-387؛ السعدني، محمود إبراهيم، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، المرجع السابق، ص 34؛
- (2) العبادي، مصطفى، المرجع السابق، ص 48.
- (3) الناصري، سيد أحمد علي، المرجع السابق، ص 131.
- (4) نصحي، إبراهيم، المرجع السابق، ص 386-400.
- (5) سارة، خليل، المرجع السابق، ص 202.

المهبات والأراضي الزراعية كإقطاعات عسكرية وجعلوا من مصر ضيعة خاصة بالملك البطلمي يهب منها من يشاء وقت يشاء، وسيطروا على المالية فيها فضمنوا تدفق الأموال إلى خزائهم وصرفوا الكثير منها على تجميل وتطوير عاصمتهم، ولم يتوسعوا في بناء المدن الإغريقية باستثناء بطلمية التي أسسها بطليموس الأول، فضلاً عن نقرطيس والإسكندرية، وعمد ملوك البطالمة على الاستعانة بالعنصر المقدوني والإغريقي في بناء الجيش البطلمي وأغدقوا عليه العطاءات والامتيازات المجزية، وفي المقابل حرم العنصر المصري من تلك الامتيازات ولم يتم الاستعانة به على الأقل في العهود الأولى لملوك البطالمة وأسندت إليه مهام النقل والحراسة، ولكن ماهي تداعيات ذلك كله على مصر البطلمية ؟

أورد السعدني شواهد مهمة لمؤرخين للتدليل على سياسة ملوك البطالمة في مصر أولهما ما ذكره عواد حسين من أن سياسة البطالمة في استغلال ثروات مصر ارهقت الأهالي بسبب الضرائب الباهظة المفروضة عليهم ومعاملتهم لهم معاملة شعب مهزوم؛ فكانوا فريسة لعدة مظالم فاحشة، واستولى الإغريق على موارد بلادهم⁽¹⁾، وثانيهما ما ذكره إبراهيم نصحي الذي تحتزل تلك السياسة في بضع سطور بقوله: "وليس من العسير أن نتصور بعد ذلك شقاء المصريين: لم يكونوا خاضعين لملوك غرباء فحسب؛ بل كذلك لجنس غريب بأسره، تغلغل في جميع نواحي الحياة، ولم تنج طبقة واحدة من طبقات المصريين من استبداد البطالمة واستغلال الإغريق"⁽²⁾.

لقد بدأ تدمير الشعب المصري من سياسة البطالمة تلك بعد عام 216 ق.م على أيدي الفلاحين وازدادت حدة الرفض لتلك السياسة التي عبرت عنها ثورة عام 207 ق.م في طيبة، وتوالت الثورات ضد البطالمة وتنوعت معها صور التعبير المصري ليتخذ أشكالاً متعددة منها التوقف عن العمل والاعتصام في المعابد واستغلال حق اللجوء إليها، وهجرة المزارع بعيداً عن أيدي السلطات البطلمية (أنا خوريسيس) (Anachoresis)، ورغم نجاح البطالمة في القضاء على الثورات بسبب قوتهم أو مكرهم أو تفرق كلمة الثوار أو بالإغراء لكنها على المدى البعيد ولاسيما في أوقات ضعف الدولة البطلمية كانت أحد أبرز الأسباب وراء عدم استقرار الحكم البطلمي⁽³⁾.

خاتمة :-

هكذا يتبين من خلال البحث في أغرقة مؤسسات الحكم والإدارة والجيش في مصر البطلمية وتداعياته أن البطالمة رغم نجاحهم في تأسيس كيان دولتهم الجديد وفق سياسة تقوم على تركيز السلطات والاقتصاد والجيش في أيديهم والاستعانة بالعنصر المقدوني والإغريقي، وصرف الأموال في بناء وتجميل الإسكندرية، وحرمان سكان البلاد من الاستفادة من ثروات بلادهم؛ كل ذلك كان له تداعيات خطيرة على مستقبل البطالمة في مصر وعبر عن ذلك المصريين بالرفض والمقاومة التي اتخذت أشكالاً متعددة منها العصيات والهروب من المزارع والثورة ضد البطالمة التي كان لها تداعياتها على عدم الاستقرار في

(1) السعدني ، محمود إبراهيم ، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان ، المرجع السابق ، ص 82.

(2) المرجع نفسه والصفحة .

(3) المرجع نفسه ، ص 82-110.

فترات ضعف دولتهم مما أفسح المجال لتدخل الرومان في شؤون البطالمة الداخلية وما ترتب عليه لاحقاً من إسقاط دولتهم عام 31 ق.م .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر :-

- 1- -Plutarchus, Demosthenes and Cicero Alexander and Caesar, with an English Translation By :Bernadotte Perrin ,1967.II,1,L.C.L;Plutarch, The Life of Alexander the Great ,<http://www.idph.net>.
 - 2- -بلوتارك (فلوطارخوس) ، تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق : الاسكندر Alexander ، ترجمة : جرجس فتح الله ، ط1، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، 2010م ، مج 3 .
 - 3- -:سترابون، الكتاب السابع عشر عن جغرافية سترافون(سترابون): وصف ليبيا ومصر ، نقله عن الإغريقية : محمد المبروك الدويب ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 2003م.
- ثانياً المراجع الأجنبية :

- 1- -Nawotka.K, Alexander the Great, Cambridge Scholars in Publishing , British Library Cataloguing in Publication Datam Data, NE6 2XX, UK,2010, Chapter Imp.4

ثالثاً المراجع العربية والمعربة :-

- 1- أبوبكر ، فادية محمد ، مصر زمن البطالمة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2006م.
- 2- أبوبكر، فادية محمد ، مصر زمن البطالمة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2006م.
- 3- أبو العطا ، الحسين إبراهيم ، مكتبات العصر المللينيستي 323-30 ق.م : البداية والنهاية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، 2002م
- 4- السعدني ، محمود، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان : موضوعات مختارة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2000م.
- 5- السعدني ، محمود إبراهيم ، آثار مصر في اليونانية والرومانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2008.
- 6- السيد ، محمد عبدالفتاح ، المصريون والبطالمة : أيديولوجية الحكم السياسي في مصر ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2004م .

- 7- العبادي ، مصطفى ، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1999م .
- 8- العابد ، مفيد رائف ، سورية في عصر السلوقيين من الاسكندر إلى بومبيوس 333-64ق.م : دراسة سياسية حضارية ، دار شمال للطباعة والنشر ، دمشق ، 1993م.
- 9- إيمار ، اندريه ؛ جانين ابوييه ، الشرق واليونان القديمة : في تاريخ الحضارات العام ، ترجمة : فريد م داغر ؛ فؤاد ج ابوريحان ، ط2 ، منشورات عويدات ، بيروت ؛ باريس ، 1981م ، مج1 .
- 10- الناصري ، سيد أحمد علي ، الشرق الأدنى في العصر الهلينيستي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1995-1996.
- 11- بل ، هـ. آيدرس ، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي : دراسة في انتشار الحضارة الهلينية وضمحلها ، نقله إلى العربية : عبداللطيف أحمد علي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1973.
- 12- تارن ، وليم وود ثورب ، الحضارة الهلينيستية ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة : زكي علي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2015م. - سارة ، خليل ، تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية ، منشورات جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ، 2008-2009م .
- 13- زهيراني ، الأب متوديوس ، الاسكندر الكبير : فتوحاته وريادة الفكر اليوناني في الشرق ، دار طلاس للدراسات والترجمة ، دمشق ، 1999.
- 14- صفا ، محمد أسد الله ، الإسكندر المقدوني الكبير ، دار النفائس ، بيروت ر نفسه ، مج 3 ، ص 1276-1277 ، 1985 .
- 15- علي ، زكي ، الإسكندرية في عهد البطالمة والرومان ، مطبعة دار المستقبل.
- 16- غربال ، محمد شفيق ، تكوين مصر ، ترجمة : محمد شفيق غربال؛ محمد رفعت ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1957 .
- 17- مكاي ، فوزي ، الشرق الأدنى في العصرين الهلينيستي والروماني ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، 1998م .
- 18- نصحي ، إبراهيم ، تاريخ مصر في عصر البطالمة ، ط7 ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1998 ، ج1.
- 19- جريمال ، نيقولا ، تاريخ مصر القديمة ، ترجمة: ماهر جويجاتي ، ط2 ، دار الفكر للدراسات والتوزيع والنشر ، القاهرة ، 1993م .
- 20- حسن ، عبدالحليم محمد ، الشرق الأدنى في العصر الهلينيستي ، دار الثقافة العربية ، 2002-2003م .
- 21- قليني ، جيورجيو ، الهيلينيستية ، ترجمة : حسن بن منصور " منشورات زرياب ، الجزائر ، 2004.
- 22- مارلو ، جون ، العصر الذهبي للإسكندرية، ترجمة: نسيم مجلي، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2002م
- 23- . -ويين ، فوكس ، الاسكندر الأكبر ، سلسلة أعلام ومشاهير ، إشراف رؤوف سلامة موسى ، دار مطابع المستقبل بالفجالة ؛ مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، الإسكندرية ؛ بيروت ، د.ت .
- 24- -ولبانك ، فرانك ، العالم الهيلينيستي :حملة الإسكندر على الشرق ونشأة الممالك الهيلينيستية ، ترجمة وتقديم : آمال محمد محمد الروبي ، مراجعة محمد إبراهيم بكر ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2009.

25- - يحيى ، لطفي عبدالوهاب ، دراسات في العصر الهلنستي: أبعاد العصر الهلنستي دولة البطالمة في مصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1978.

رابعاً الدوريات:

- 1- -دياب، أحمد فاروق رضوان ، "الطريق النهري بين منف والإسكندرية في العصر البطلمي: دراسة وثائقية"، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش ، المؤتمر الدولي الثالث التأثير والتأثر بين الحضارات ، مركز الدراسات البردية والنقوش ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ج3 ، 2012م، ص 320.
- 2- -زايد ، عادل عمران محمد، "الإسكندر المقدوني : سنوات قليلة وإنجازات كبيرة 336-323ق.م" ، مجلة المنتدى الجامعي للدراسات الإنسانية والتطبيقية ، جامعة بني وليد ، العدد21، (مارس 2018م)، ص83-84. -زايد ، عادل عمران محمد ، " الإسكندرية عاصمة الدولة والثقافة في العهد البطلمي " ، في مجلة القلعة ، كلية الآداب والعلوم ، مسلاته ، العدد 3 ، (ربيع 2015م) ، 496-515.
- 3- -زايد ، عادل عمران محمد ، " العلاقات البطلمية الرومانية (323-31 ق.م) " ، مجلة المتكأ ، مركز المتكأ للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية ، بني وليد ، العدد6، (ديسمبر 2018)، ص 170-108.